خطبة الجمعة 2-9-2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

سلسلة قرأت في كتاب

((الفساد: الأسباب والعواقب، والإصلاح))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيٍّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته وأستفتح بالذي هو خير :

قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 81]

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170]

أيها الإخوة:

هذه سلسلة خطب جديدة أُقدِّمها بين أيديكم، عنوانها:

(قرأتُ في كتاب)

أختار لكم فيها فوائد منثورة في كتب قرأتها أو بعضها؛ ليفيد المرء علماً وعملاً.

۞ في أيام العيد اطَّلعتُ على كتاب اسمه:

(الفساد: الأسباب والعواقب ، والإصلاح)

مؤلفته: الدكتورة سوزان روز أكرمان، وهي أستاذة في القانون والعلوم السياسية في مركز (هنري. ر. لوس) بجامعة ييل في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي المدير المشارك بكلية الحقوق والاقتصاد والسياسة العامة في الجامعة، وقد عَمِلَتْ سابقاً خبيرة في البنك الدولي.

تحدثَتْ المؤلفة عن تعريف الفساد، وأنواعه وأشكاله وفئاته، وتوزيعه الجغرافي والسياسي، وأجْرَت مقارنة بين الفساد في الأنظمة الاشتراكية والأنظمة الرأسمالية، وأوضحت أشكال الفساد في الدول الصناعية والدول النامية والدول الأقل نمواً، ثم تطرَّقَت إلى أثر الفساد الإداري والمالي على استمرار الدول والحكومات، وأوضحت كم من دول انتهت بسبب الفساد، بل إن دولاً زالت من خارطة العالم الجغرافية بسبب الفساد. وذكرت الباحثة أن الفساد الإداري أودى ببعض الدول إلى سقوط رؤساء حكومات، ونهاية بعض الوزراء، واقتادهم فسادهم إلى السجون.

وعندما تحدثت الباحثة عن أهم أسباب الفساد الإداري ذكرت:

1- بقاء المسؤولين التنفيذيين فترات طويلة في مناصبهم:

تؤكد العديد من الدراسات أن بقاء المسؤولين لفترة طويلة في موقع واحد يؤدي إلى تغيير سلوكياتهم (إلا البعض النادر منهم)..، فيتحولون من أشخاص منتجين إلى أشخاص يتَّكلون على أجهزتهم وعلى المتعاملين معها. ولهذا فإن من أهم السياسات الإدارية المتبَعة في الأجهزة العسكرية في العالم هي تنويع المسؤوليات للقادة العسكريين، وتغييرُ مواقعهم كل سنتين، وبحدٍّ أعلى كلّ ثلاث سنوات، وكذلك في السلك الدبلوماسي، فحركة التغييرات والتنقُّلات أساسية في الإنتاج والتعليم والتدريب والترقي، والتي تحددها العديد من الدول بالأربع السنوات.

2- انشغال المسؤول الأول شغلاً يَدَعُه يترك أمر جهازه الإداري في تصرف أحد موظفيه:

وكم من موظف أصبح في الأهمية قبل رئيسه. وهنا يبدأ الفساد الإداري في غياب المراقبة والمتابعة، حتى إن العديد من القضايا المهمة التي تحتاج إلى أن يحاط المسؤول الأول بها علماً تُحجَب عنه، ولا يعلم بها إلا بعد وقوع كارثة.

3- المحسوبيات:

تقول الدراسة إن الدول العربية أكثر دول العالم التي ينتشر فيها هذا النوع من الفساد الإداري، والذي تلعب المحسوبية من القرابة أو الرحم أو الانتماء إلى قبيلة أو منطقة أو حزب دوراً كبيراً فيه؛ الأمر الذي يؤدي إلى إعطائهم الأولوية في التعيين أو الترقية أو الابتعاث أو تسهيل الإجراءات وحرمان الآخرين.

... وتؤكد الدراسة أن أساس الفساد الإداري هو الاختيار غير الموفق للقيادات الإدارية أو كبار المسؤولين على مبدأ التزكية أو المعرفة الظاهرية، أو على مبدأ القرابة أو الانتماء، دون التركيز على مبدأ التقييم العلمي المبني على الكفاءة والخبرة والإنتاجية، وهذا يؤثر مستقبلاً على أداء الأجهزة الإدارية، وينعكس سلباً على رضا الناس في إنجاز معاملاتهم.

4- غياب أجهزة المتابعة والتقييم، وغياب الرقابة الحقيقية للمواطنين.

ويتحول الفساد الإداري في النهاية إلى فساد مالي يدفع قيمته المواطنون جميعاً.

أيها الإخوة:

في العالم اليوم منظمات للشفافية تعنى برصد الفساد، وقد قامت منظمة الشفافية الدولية TI)) بالإعلان عن مؤشر مدركات الفساد (CPI) للمنظمة للعام (2003م)، ويدل مؤشر الفساد في (133) بلداً من البلاد النامية -ومنها الدول العربية- أن (9) من أصل كل (10) دول نامية بحاجة ماسّة لدعم عملي لكبح الفساد...

لقد قامت منظمة الشفافية الدولية المشار إليها بإعداد تقرير علمي عن مدى استشراء الفساد في الدول المائة والثلاثة والثلاثين، وتم تحديد مستوى الشفافية الأعلى -أي النقاء من الفساد- بعشر درجات؛ بمعنى أن دولة كـ (فنلندا) حصلت على 9.7 من 10 درجات، وبذلك هي أقرب إلى الشفافية والنقاء والبعد عن الفساد. أما دولة (بنغلاديش) فقد حصلت على 1.3 درجة، ومن ثَم فهي بعيدة كل البعد عن الشفافية والأقرب إلى انتشار الفساد.

ورد في التقرير درجة الشفافية في البلدان العربية كالآتي:

(عمان: (6.6)، البحرين: (6.1)، قطر: (5.6)، الكويت: (5.3)، الإمارات: (5.2)، تونس: (4.9)، الأردن: (4.6)، السعودية: (4.5)، سوريا: (3.4)، مصر: (3.3)، المغرب: (3.3)، لبنان: (3.0)، فلسطين: (3.0)، الجزائر: (2.6)، اليمن: (2.6)، السودان: (2.3)، العراق: (2.2)... من 10 درجات).

أيها الإخوة:

إنه لا يُصلِح آخرَ هذه الأمة إلا الذي أصلَحَ أوَّلَها، وليس ثمة من سبيل إلا العودة إلى منهج الله تعالى؛ إذ الأديان السماوية كلها جاءت لمنع الفساد بجميع أنواعه وزرع الصلاح: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]

وورد المصطلحان (الفساد والإصلاح) في القرآن الكريم في عشرات المواضع من الآيات القرآنية؛ إذ ورد الفعل (فسد) ومشتقاته الفعلية والاسمية في (44) موضعاً، وورد الفعل (صلح) بمشتقاته الفعلية والاسمية أيضاً في (182) موضعاً.

فإصلاح ما فسد من عقيدة الناس، وإصلاح ما فسد من شريعة الناس، وإصلاح ما فسد من أخلاق الناس، هو الباب الوحيد لرفع ما نزل من بأس على الناس.

تثبيت أركان (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، وتعزيز العمل بالفقه الإسلامي في العبادات والمعاملات المالية والأحوال الشخصية والقضاء والسياسة، وغرس الأخلاق الفاضلة ونزع الذميمة ، هو السبيل الوحيد للنجاة في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ قال ابن عباس: (﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا، ﴿وَلَا يَشْقَى﴾ في الآخرة).

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: 124-126]

أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**يقول الله عز وجل:**

وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي، إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.

وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي، إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)).

والحمد لله رب العالمين.

www.dr-shaal.com